صفقة خاسرة !

سورة النبأ (078)

خطبة جمعة

2025-10-17

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

ملاحظة: النص تفريغ آلي سيتم إضافة النص بعد التنسيق قريبا

معهد الدين الاسلامي

يا ربنا. لك الحمد ملء السماوات والأرض. وما بينهما إلا. الله وحده لا شريك له. غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف. فكيف نفتقر في غناك؟ وكيف نضل في هداك. وكيف نذل في عزك. وكيف نضام في سلطانك. وكيف نخشى غيرك والامر كله اليك. واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ارسلته رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا. ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد. وعلى أصحاب سيدنا محمد. وعلى أزواج وجد سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا. وبعد. ايها الاخوة الكرام. خلق الله الانسان وجبله على حب الربح وبغض الخسارة. يحب الربح ويبغض الخسارة من اي نوع كانت. التاجر يدخل صفقة بمائة. فان خرج بمائة وعشرين. سعد بربحه وفرح به. متسابق يتنافس مع غيره. في سباق ما. فان احرز فيها مكانا متقدما. كان يقال فلان الاول. في المسابقة. فرحا. وربح. ربيحة. هكذا جبل الله.

الانسان شخص رشح نفسه للانتخابات. ما ان صدرت النتائج وصدر اسمه في قائمة الناجحين حتى طار فرحا. في المقابل يسوء الانسان ان يخسر تسوؤه خسارته. سواء خسر ماله او خسر شيئا من صحته. او خسر منصبه. والطاولة التي كان يجلس وراءها فيأمر وينهى. هذه جبلة جبل عليها الانسان يحب الربح ويبغض الخسارة. علما ان مقاييس الربح والخسارة ربما تختلف بين شخص واخر بحسب عقيدته وايمانه وتربيته. بمعنى انه المؤمن الحق. المؤمن الحق. صاحب العقيدة الحقيقية المنطلقة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لا يترنم مثلا ان ربح في الانتخابات. لا يطير فرحا. لا يخرج عن طوره. ربما يفرح جزئيا لان الله سيسخر له خدمة الناس. ربما. وهذه بحسب نيته. لكنه بالعموم لا يفرح. بل يراها مسؤولية عظيمة القيت على عاتقه وحملها وسيحاسب عليها بين يدي ربه. كلمة مسؤول بالنسبة للمؤمن وفق عقيدته ليست ككلمة مسؤول لغير المؤمن. المؤمن يسمع كلمة مسؤول فيتذكر قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤولون. يعني ساسأل انا مسؤول كبير. اذن ستسأل يوم القيامة عن كل شيء. كلما عظمت مسؤوليتك عظم السؤال بين يدي خالقك. فهو لا ينظر الى المنصب على انه ربا ينظر اليه على انه مسؤولية عظيمة.

فيهتم ان خرج اسمه بين الناجحين في الانتخابات مثلا. ايضا المؤمن لا يرى اي خسارة عندما ينفق ماله بل يرى ذلك ربحا يراه غيره خسارة. يقول صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة. المال لا ينقص عندما تتصدق. طيب كم تصدقت بعشرين. اصبح ثمانين. لا ينقص. بالمنطلق الايماني لا ينقص. لان هذه العشرين اصبحت عند الله مئتين. فهل نقص المال. لم ينقص فمقاييس الربح والخسارة تختلف. النبي صلى الله عليه وسلم كان يوزع شاة. قالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله لم يبق إلا كتفها وزعتها كلها، لم يبق لنا شيء. قال يا عائشة بقيت كلها إلا كتفها. لان المؤمن يدرك ان ما ينفقه لا يخسره وان ما يدخر له اجرا عظيما عند خالقه. الاكثر من ذلك غاية الجود ان يجود الانسان بنفسه في سبيل الله. حرام بن ملحان وهو خال سيدنا انس بن مالك رضي الله عنه، خرج داعية الى الله تعالى ومجاهدا في سبيله. يعلم الناس كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. في الطريق خرج اليه رجل مجرم فطعنه طعنة حتى انفذه طعنه بالرمح حتى نفذ الرمح من الجانب الاخر.

طعنة قاتلة. قال حرام بن ملحان باعلى صوته فزت ورب الكعبة. اين الفوز؟ لقد قتلت. لقد خسرت حياتك. قال فزت ورب الكعبة لان الجود بالنفس في سبيل الله تعالى ربح وليس خسارة. من قضى من اهلنا في غزه صابرا محتسبا راضيا بقضاء الله تعالى مرابطا في ارضه. فاز ورب الكعبة على الشاشة رأيناه قد قتل ورأينا أهله يبكونه. في الحقيقة لم يخسر روحه لانه قدمها في سبيل الله تعالى فهي اغلى روحه. تقدم فمقاييس الربح والخسارة تختلف بحسب العقيدة بحسب المنطلقات التي تحملها انت في داخلك. فما تراه خسارة قد يراه غيرك ربحا. وما تراه ربحا قد يراه غيرك خسارة. على كل ايها الاخوة الكرام القرآن الكريم يحدث الناس بمنطق الربح والخسارة يحدثهم بمنطقهم. كثيرا ما يحدثنا القرآن بمنطقنا. عن الربح والخسارة ليدعونا إلى العمل والاجتهاد والبذل. يحدثنا بما نريده وهو الربح. ويكرهنا بما لا نريده. وهو الخسارة. وهذا من رحمة الله بنا. من الصفقات الرابحة الرابحة التي تحدث عنها القران. قال تعالى. ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم. بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون. وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران.

ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم. أعظم ربح صفقة عظيمة من الله تعالى خالقنا يعرض علينا تجارة رابحة وصفقة لا يمكن ان تخسر الان اي تاجر. قل له امامي صفقة الربح فيها مئة بالمئة. يقول لك هيا فورا وهو يثق بك لانك لا تغشه الربح مئة بالمئة. لا توجد صفقات في التجارة نادرة ان يؤكد الربح قبل الدخول في الصفقة. الله تعالى ومن اصدق من الله حديثا يعرض على عباده صفقة رابحة لا يمكن ان تخسر. السلعة هي نفسك ونفس السلعة هي نفوسنا نقدمها والثمن هو الجنة. بان لهم الجنة. فمن ذا الذي يبيع نفسه وماله لله. يقول انا لله بكل ما املك والثمن جنة عرضها السموات والارض. في حديث اخر تقلب الصفقة. تصبح السلعة ثمنا والثمن سلعة. فالسلعة هي الجنة والله يبيعها وانت المشتري. والثمن هو طاعة الله تعالى. يقول صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن خاف أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية. والدرجة أول ظلام الليل يخرج من بداية الليل ليدرك الفجر وقد وصل إلى مأمنه. هناك أعداء يطاردونهم. من خاف أدلج. ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية.

ألا إن سلعة الله الجنة. الله يبيعك جنة فيها ما لا عين رأت. ولا أذن سمعت. ولا خطر على قلب بشر. وانت تستخسر دريهمات في سبيلها. وانت تستخسر ركيعات في جوف الليل من اجلها. وانت تستخسر غض البصر من اجلها. وانت تستخسر صلاة الفريضة من اجلها. يبيعك جنة السلعة غالية جدا والثمن بسيط جدا. هب ان انسانا قال لك خذ هذه السيارة من احدث طراز وسنة الصنع هي 2025 والثمن ليرة. ماذا تقول؟ الله يبيعنا جنه بثمن بخس. عمر محدود تطيع الله فيه. تقدم فيه ما تستطيع لربك. لإعزاز دينك. والجنة تنتظرك. الا ان سلعة الله غالية. ألا إن سلعة الله الجنة. صفقة رابحة أخرى. قال تعالى يا ايها الذين امنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. انظروا الى الخطاب القرءاني العظيم. يا ايها الذين امنوا. من الذين امنوا. انت وانا. اليس بيننا وبين الله عقد إيماني. اما نقل. رضينا بالله ربا وبالاسلام دين. نحن الذين امنوا الخطاب لك. اسمع. اذا سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا فاعرض سمعك فإنه خير يؤمر به أو شر ينهى عنه.

انتبه ما بعده. يا ايها الذين امنوا. هناك شيء مهم. قال هل أدلكم على تجارة. تنجيكم من عذاب أليم. نعم يا رب دلنا. قال تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار. انظروا الى الثمن العظيم. مغفرة ذنوب وجنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين. صفقة رابحة. ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور. تجارة لا يمكن ان تخسر ابدا. في المقابل هناك صفقات خاسرة سيندم عليها المرء اشد الندم يوم القيامة. وهناك خسائر كبيرة. ليست خسائر الدنيا مهما عظمت امامها بشيء. قال تعالى قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين. هذا هو الخسران وما سواه ليس بخسران. تقول لي لم يصدر اسمي مع الناجحين في مجلس الشعب. خسرت. تقول لي لم اربح كما ينبغي. عاد رأس المال ناقصا. خسرت. تقول لي عندي مشكلة في الجسم. خسرت. اي خسارة تلك الا ذلك هو الخسران المبين ان يأتي المرء يوم القيامة وقد خسر نفسه. كانت لجنة عرضها السماوات والارض فأوردها النار الى ابد الابدين وخسر اهله لانهم ان كانوا في الجنة فلن يكونوا معه فقد خسرهم، وان كانوا في النار معه فقد أوردهم الهلاك كما اورد نفسه الهلاك فهو خاسر على الحالين.

قل إن الخاسرين. الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا اداة الاستفتاح للتوكيد. ذلك هو للتوكيد الخسران بأل التعريف الا ذلك هو الخسران المبين. يعني غيره ليس خسرانا. لا تقل لي خسرت في الدنيا. قل قدر الله وما شاء فعل الخسارة هناك. ايها الاخوة الكرام. من اعظم الصفقات خسارة. وانظروا فيما اقول. من اعظم الصفقات. خسارة. ان يتاجر الانسان بدين الله تعالى. اعظم صفقة خاسرة في التاريخ. ان يتاجر الانسان بالدين. وان يجعل منه مطية لتحقيق هواه ومصالحه الموهومة. قال تعالى. اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون. ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون. ايات الله. دين الله منهج الحق لا يعتاض عنه بمال الدنيا. مهما كثر اي ثمن. مهما عظم فهو الى جوار منهج ربنا. ثمن حقير ثمنا قليلا. ايات الله غالية تبذل دونها المهج والارواح.

دين الله يحيا الانسان من اجله. يقدم حياته ليحيا في ظلال منهج الله تعالى وايات الله. فاذا ببعض الناس يستخدم الدين لمصالحه المتوهمة. وأقول المتوهمة لأنه لا مصلحة حقيقية الا في اتباع منهج الله حقا يستخدم الدين العظيم العالي الشأن الرفيع في عليائه يستخدمه لمصلحة ضيقة. ويجعل من هذا الدين العظيم والمنهج القويم والايات الباهرة مطية يمتطيها الى الوصول الى مأربه. ويتاجر بها من اجل عرض الدنيا الزائل. كم هو خاسر اي خسارة اعظم من تلك الخسارة. رجل يجلس في مكتبه امامه ايصال نقدي. قل شيك بمبلغ مليون دولار مثلا. ولا يمكن ان اتلف هذا الايصال. ان يستبدل مرة واحدة والشك مقلوب على وجهه. الثاني. جاءه رجل قال له اين اذهب الى ساحة الحجاز. الشك مقلوب امامه. لم ينتبه انه الشك. امسك قلما ورسم له الخريطة على ظهره ودله. وذهب الرجل بعد ان ذهب الرجل. اراد ان يرتب مكتبه فوجد ورقة مرسوما عليها الطريق الذي دله عليه فمزقها والقاها في القمامة. ثم اكتشف انه اتلف الورقة النقدية بمليون دولار ولا يديل عنها. كيف يكون شعوره بالخسارة بدل ان يستخدمها ليشتري بها أشياء واشياء استخدمها بابسط استخدام جعلها ورقة يشخبط عليها كما يقال.

هذا ما يحصل بالانسان الذي يستخدم دين الله ولو كان شيخا ذا عمامة. عندما يستخدم الدين لمصالحه الشخصية. اسوأ استخدام. ان تأتي الى دين الله وتستخدمه لمصالح شخصية. ستتفاجأون عندما تسمعون ان الامام الشافعي رحمه الله كان يقول. لأن أرتزق بالرقص أهون من أن أرتزق بالدين. سنقول لماذا بالرقص. نعم بالرقص يرقص. سيعطيه الناس مالا اهون. طبعا اهون من ان يرتزق بدين الله تعالى ويحرفه او يفتي بخلاف ما يعلم من اجل السلطان او من اجل الدنيا. لان أرتزق بالرقص أهون من أن أرتزق بالدين. المال ايها الكرام عبد مخلص لكنه سيد رديء. المال اذا كان تحت يدك يخلص لك. لكن اذا جعلته سيدا عليك فهو أردأ. سيد يأمرك بالشر وينهاك عن الخير. فاجعل المال عبدا لك لا تجعله سيدا عليك. ايها الاخوة الكرام. يقول صلى الله عليه وسلم. بشر هذه الامة بالتيسير والثناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر. فمن عمل منهم بعمل الاخرة للدنيا فليس له في الاخرة من نصيب. أخرج ابن عساكر في تفسير قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها. وهذا التفسير للاستئناس ليس تفسيرا واحدا. هناك تفسيرات كثيرة لهذه الاية. قال ابن عساكر في تفسيره.

وعلم ادم الاسماء كلها. قال علمه اسامي الف او الف حرفة. علمه اسماء الف حرفة من الحرف. ثم قال يا ادم قل لي ولدك. ونحن اولاد ادم. ان لم تصبروا عن الدنيا. تريد الدنيا وهذا حقك. تريد ان تشتري وتعيش. ان لم تصبر عن الدنيا فطلبوها بهذه الحرف ولا تطلبها بالدين. دع الدين في عليائه. لا تطلب الحرف. لا تطلب المال بالدين. يقول ابن عباس رضي الله عنهما. علماء هذه الامة رجلان. رجل اتاه الله علما فبذل له للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا. فذلك تستغفر له حيتان البحر والدواب. في البر. والطير. في جو السماء. ويقدم على الله. سيدا شريفا. حتى يرافق المرسلين. ورجل أتاه الله علما. فدخل به عن عباد الله. واخذ عليه طمعا. واشترى به ثمنا. فذاك يلجم بلجام من نار يوم القيامة. من مظاهر استغلال الدين. الاستغلال السياسي. الدين ليس مطية. الدين لا ينفصل عن السياسة. ولكن السياسة تبع للدين. فالدين يوظف السياسة لخدمة المجتمع. لكن الدين لا يتخذ مطية سياسية ابدا. قال تعالى في سورة التوبة.

وهي السورة الفاضحة الكاشفة. قال يا ايها الذين امنوا. يخاطبنا. لا يروي لنا قصة عن الماضين يخاطبنا. يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله. وكأنه يقول لنا اياكم يا امة محمد ان تكونوا الاحبار والرهبان تصدون عن سبيل الله وتأكلون اموال الناس بالباطل. ايها الاخوة الكرام. من مظاهر استغلال الدين الاستغلال الاقتصادي ان يتخذ الدين مطية لتحصيل المال والسمعة والمكانة. ومن مظاهر استغلال الدين ما نسميه بالكهنوت. نحن ليس في ديننا رجال دين. هذا تسرب إلينا من عقائد اخرى من ثقافات اخرى. نحن ليس عندنا رجل دين. كلنا رجال هذا الدين من صغيرنا إلى كبيرنا كلنا نحمل هم الدين. فان يجعل رجل لنفسه كهنوتا خاصا ومكانة خاصة بحكم هيأته وعمامته. ثم يمالئ الأقوياء ويتزلف للأغنياء ويجلس على كرسيه ليروي الخرافات والمنكرات دون أدلة ودون بينات. والجميع يجب ان يهز رأسه لان فلانا يضع عمامة على رأسه فهذا ليس من ديننا في شيء. اما ان تكون عالما حقا فلك احترامك ومكانتك بقدر علمك. او ان تكون قصاصا تحكي للناس بغير منهج الله تعالى. فليس لك أي مكانة. ليس هناك كهنوت في دين الله.

انتبهوا. جاء الشيخ هذا شيخ فلاني ان كان على المنهج فعلى العين والرأس له احترامه وان كان بخلاف المنهج فيقال له اخطأت. ليس عندنا كهنوت في دين الله تعالى. كلنا رجال لدين الله تعالى. انا وانت ان كنت انا او كنت انت تحمل علما يزيد عني فضلك بقدر علمك. وان كنت تعمل اكثر مني ففضلك بزيادة عملك. يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والعمل الصالح يرفعه. لكن ليس لي مزية لأنني ألبس عباءة ولا لانني أضع عمامة مزية في ما احمله من علم وعمل. انا وانت ان اكرمكم عند الله اتقاكم. اما الكهنوت ان يجلس شخص ما عنده علم شرعي مؤصل. ويمضي الدرس كله في رواية بعض القصص الخيالية والخرافات ويحصن لانه يجلس خلف الكرسي وحوله الناس. فليس لأحد حصانة في دين الله تعالى. اما ان يلتزم المنهج واما ان يراجع فيه. ايها الاخوة الكرام. بقي ان اقول شيئا. التكسب بالدين لا يعني ابدا ان هناك مدرسا للقران الكريم او مدرسا لاولادنا للتربية الاسلامية في مدرسة عامة او شرعية. يقضي وقته ليعلم اولادنا ثم يتقاضى أجره في نهاية الشهر. هذا اولى الناس بان يأخذ اجرا. واولى الناس بان نعظم له المال والاجر ما دام مستقيما ويعلم العقيدة الصحيحة.

بل نزيده ما نستطيع. لان المعلم عماد المجتمع. هذا لا يتكسب بدين الله. هذا ينفق وقته خدمة لدين الله تعالى فهو اولى الناس بالإكرام حتى لا يفهم ان التكسب بالدين يعني ان شخصا يعلمه القرءان للاولاد في المدرسة او التربية الاسلامية. ابدا هذا ليس تكسبا بالدين. التكسب بالدين ان اتخذه ستارا لمأرب الشخصية ولمصالح متوهمة. هذا هو التكسب بالدين المنهي عنه شرعا. والذي يقال عمن فعله اشترى بايات الله ثمنا قليلا. حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم. واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والعاجز من أتبع نفسه هواها. وتمنى على الله الأماني. واستغفر الله. الحمد لله رب العالمين واشهد ان لا اله الا الله ولي الصالحين. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد. كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى ال سيدنا ابراهيم. وبارك على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد. كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى ال سيدنا ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات. انك يا مولانا سميع قريب مجيب للدعوات.

اللهم برحمتك عمنا واكفنا. اللهم شر ما أهمنا وغمنا. وعلى الايمان الكامل والكتاب والسنة توفنا نلقاك وأنت راض عنا. لا اله الا انت سبحانك انا كنا من الظالمين وانت ارحم الراحمين. وارزقنا اللهم حسن الخاتمة. واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راض عنا. انت حسبنا عليك اتكالنا. اللهم انا نسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل. ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل. اللهم ربنا فارج الهم كاشف الغم مجيب دعاء المضطرين رحمن الدنيا والاخرة. ورحيمهما أنت ترحمنا. ارحمنا برحمة من عندك تغنينا بها عن رحمة من سواك. اللهم انا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم اهلنا في غزة اهلنا في فلسطين كن لهم عونا ومعينا وناصرا وحافظا ومؤيدا وامينا. اللهم أطعم جائعهم واكس عيالهم وارحم مصابهم واوي غريبهم. واجعل لنا في ذلك عملا متقبلا وسهما صالحا فلهم اجرهم من مكر اعدائهم.